بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 34 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:07\03\2023 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

ما زال الحديث في الآية التاسعة: ﴿إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَلا شُكُورا﴾.

من لطائف الأمور -والتي أشرت إلى بعض مواردها سابقاً- من أن الكثير من مفسري العامة في بعض الآيات النازلة في حق أهل البيت عليهم السلام يناقشون في ذلك ولا يعترفون به في مورد بحثهم عن تلك الآيات. ولكن يعترفون بذلك في سياق آخر، وفي الحديث عن آيات أخرى.

من جملة الموارد في هذه الآية المباركة -هذا من لطائف التناقض- الفخر الرازي الذي نقلنا عنه سابقاً بأنه رفض القول بنزول هذه الآيات في حق أمير المؤمنين عليه السلام، نراه في سورة البقرة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ﴾[1] إنفاق ابتغاء مرضاة الله، هذا نظير الإطعام لوجه الله، فهو نظير الآية التي عنها في بحث عنها.

فيبحث عن أن هذه الآية التي جاء فيها ابتغاء مرضاة الله، ونقل وجوهاً أربعة وتبنى الوجه الأخير، وذكر أنه انقدح له هذا الوجه عندما كان يكتب في هذه الآية -الآية الموجودة في سورة البقرة-، والوجه: "أن من أنفق في سبيل الله ولم يحصل له اطمئنان القلب في مقام التجلي إلا إذا كان إنفاقه لغرض العبودية"[2]. ويرى أن هذا الوجه هو الوجه الصحيح.

ودليله على أن هذا الوجه هو الوجه الصحيح: "ولهذا السبب [لأجل هذا الوجه الذي ذكرته هذا دليله] حكي عن علي رضي الله عنه أنه قال في إنفاقه ﴿إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾"[3]. فجعل قول علي عليه السلام شاهداً على التفسير الذي اختاره في تلك الآية.

---

[1] البقرة: 265

[2] مفاتيح الغيب، ج7، ص: 48

[3] المصدر نفسه.

على كل تقدير، هذا فعلاً من لطائف موارد التناقض في كلماتهم التي يمكن أن نحججهم بها.

بيّنا في البحث السابق أن هذه الآية المباركة ناظرة إلى الإخلاص في العمل، وهذا الإخلاص هو الذي يعطي للعمل قيمة في ميزان رب العالمين سبحانه وتعالى.

بقي الكلام في بعض الأمور التي كان أن نقف عندها في هذه الآية المباركة، ومنها: قوله تعالى ﴿لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ فما المقصود من وجه لله تبارك وتعالى؟

واضح جداً على مبانينا الاعتقادية، وعلى ما ثبتت بالبرهان، وأيده النقل، أن امتناع التجسيم يمنعنا على أن نحمل الوجه على هذا الوجه الجسماني المادي، بل نلاحظ أن العرب يستعملون الوجه في غير هذا المعنى الجسماني المادي، فيقال للوجه ويطلق الوجه على الجهة التي يقصدها الإنسان، وهذا يتناسب المعنى الذي نتحدث عنه، وهي استفادة الإخلاص، فهؤلاء الأبرار في إطعامهم يقصدون هذه الجهة، وهي الله سبحانه وتعالى.

فوجه الله، أي صفات جلاله وكماله، هي التي يقصدها المتعبد، والتي منها مرضاته، ولذا في بعض الروايات تعبر بمرضاة الله.

فلا فرق بين ابتغاء مرضاة الله، وابتغاء وجه الله، غاية الأمر أن ابتغاء وجه الله تبارك وتعالى يكون أعم، ويكون أكثر بلاغة وتأكيداً على الإخلاص من مجرد ابتغاء الرضا، وينسجم مع قول أمير المؤمنين عليه السلام: (وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك)[4] والآيات في هذا المعنى في غاية الكثرة، كقوله تبارك وتعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[5] أي مقصدهم وغرضهم هو الباري تبارك وتعالى بما له من وجه، أي بما له من صفات جلال وجمال.

وكذلك في سورة البقرة: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾[6] فلا يراد من هذه الآية بأي شكل من الإشكال التجسيم.

المقطع الثاني: ﴿لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً﴾.

---

[4] عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، ج1، ص: 404
[5] الكهف: 28
[6] البقرة: 272

هذا المقطع الثاني، وهذه الآية بكلا مقطعيها، من مصاديق ما يسمى في علم البلاغة بالإطناب، فإنه بعد أن أتى بأداة الحصر ﴿إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ معنى الحصر أنه فقط الإطعام لهذه الجهة، وهي ﴿لِوَجْهِ اللَّهِ﴾، فمن الطبيعي أن نفهم أنهم لا يطعمون لإرادة الجزاء والشكور، فالمقطع الثاني يفهم من المقطع الأول، ففيه إطناب، الذي يرجع إلى أن الألفاظ زائدة على المعاني، لكن بفائدة ولغرض، وهذا ما يسمى في اللغة العربية وفي علوم البلاغة بالتذييل.

التذييل من تقسيماته، تارة تأتي الجملة الثانية مؤكداً لمنطوق الجملة الأولى، وأخرى تأتي الجملة الثانية مؤكدة لمفهوم الجملة الأولى، مثلاً: نلاحظ في قوله تبارك وتعالى: ﴿ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِما كَفَرُوا وَهَلْ نُجازِي إِلاَّ الْكَفُور﴾[7] الجملة الثانية مؤكدة لمنطوق الجملة الأولى، فتفيد المعنى الذي يفيده المنطوق.

وقد يكون التذييل، أي الجملة الثانية التي تؤكد الجملة الأولى، فتؤكد مفهوم الجملة الأولى لا منطوق الجملة الأولى، ومن أشهر الأمثلة على ذلك، بيت النابغة الذبياني:

ولست بمستبق أخا لا تلمّهُ على شعثٍ أي الرجال المهذبُ

صدر البيت يفيد إذا لم أقبل بأخي وصديقي مع عيوبه فلا يبقى عندي صديق ولا أخ، وهذا نفهم منه أنه لا يوجد في هذه الحياة إنسان كامل، فأين يوجد رجل كامل في التهذيب؟ إذاً هذه الجملة الثانية أكدت ما يفهم من الجملة الأولى.

ما نحن فيه ﴿إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ هناك بحث ذكر في علم الأصول، أن جملة الحصر، هل تدل على الانتفاء عند الانتفاء منطوقاً أو مفهوماً؟ فيوجد خلاف بين علماء الأصول، فعلى رأي من يقول بأنها تدل على الانتفاء عند الانتفاء مفهوماً تكون الجملة الثانية مؤكدة لمفهوم الجملة الأولى، وعلى رأي من يقول بأن جملة الحصر تدل على الانتفاء عند الانتفاء منطوقاً وبالدلالة المطابقية لا الالتزامية فتكون الجملة الثانية مؤكدة لمنطوق الجملة الأولى.

فهذه الآية المباركة على الخلاف الأصولي تصلح مثالاً لكلا قسمي التذييل.

---

[7] سبأ: 17

إذاً هذه الآية فيها إطناب، جاء لغرض تأكيد هذه الفكرة لأهميتها، ونلاحظ مسألة الإخلاص التأكيد عليها كثير في الآيات والروايات، كما في رواية طلب العلم التي قرأتها في البحث السابق.

من جملة البحوث التي تذكر ويمكن أن نقف عندها في هذه الآية المباركة، في المقطع الثاني يوجد لا نريد منكم جزاء، ويوجد لا نريد منكم شكوراً، فما الفرق بين الجزاء والشكور؟

الجزاء في الواقع هو ما يقابل العمل، الإنسان عندما يقدم إحساناً، إذا كان ينتظر من المحسن إليه شيئاً فلا يخلو هذا الذي ينتظره إما عمل في مقابل عمله فهذا يسمى الجزاء وإما الثناء الجميل وهذا يسمى بالشكر. فعادة الإنسان عندما لا يطعم ولا ينفق لوجه الله، بل يتوقع ممن ينفق عليه شيئاً، هذا الذي يتوقعه إما أنه يقدم هدية لأنه يريد منصب أو أن ينجز معاملة وهكذا وإما يكفيه الثناء الجميل.

ففي هذه الآية المباركة تدل على أن عملية الإطعام فقط لله سبحانه وتعالى، لا يريدون في مقابله ممن ينفقون عليه أي عمل، ولا يريدون حتى مجرد الثناء الجميل، فهذه أكدت مسألة الإخلاص.

المحطة الأخيرة في هذه الآية المباركة: أن هذه الآية هل هي فعلاً قول لهؤلاء الأبرار؟ أي عندما أطعموا المسكين وأعطوه أقراص الشعير، قالوا له: لا نريد منك جزاء ولا شكوراً؟ ثم في اليوم الثاني عندما أطعموا الأسير قالوا: لا نريد منك جزاء ولا شكوراً، وهكذا في اليوم الثالث؟ فهل هذه المقولة صدرت منهم وجرت على لسانهم أم أن الباري سبحانه وتعالى يحكي حال هؤلاء ويكشف نية هؤلاء؟

قلَّ من تعرض لهذا البحث من علماء التفسير.

بالتتبع في كلمات المفسرين، نجد أقوالاً ثلاثة:

القول الأول: أن تكون هذه المقولة مقولة لسانية، أي كلما أطعموا قالوا لهذا المطعَم: لا نريد منك جزاء ولا شكوراً.

وهذا القول دليله ظاهر الآية، فهو خطاب منهم للمطعَمين، فظاهر الخطاب أن هذا القول صدر منهم بالفعل وجرى على لسانهم.

القول الثاني: أن لا تكون هذه المقولة مقولة لسانية، وإنما يرجع ذلك إلى إرادتهم لهذا الأمر، أي أطعموا وأرادوا أن يكون هذا الإطعام خالصاً لوجهه تبارك وتعالى.

القول الثالث: لم يجر على لسانهم، ولا أنهم أرادوا أن يكون الأمر كذلك، وإنما في واقع أمرهم هؤلاء كذلك.

الفرق بين هذا القول الثالث والأول واضح، ففي الأول يوجد جري على اللسان.

الفرق بين القول الثالث والثاني، أن هؤلاء عندما أقدموا على الإنفاق والإطعام نووا هذا الشيء، وأرادوا هذا الشيء، أرادوا أن يقولوه ولكن لم يقولوه. فهناك قول باطني. بينما على القول الثالث ربما لا يكون التفات إلى هذا المطلب، لكن هؤلاء واقعهم هو هذا.

فهذه أقوال ثلاثة ذكرت في توجيه هذه الآية المباركة، نعلق على ذلك في الجلسة القادمة.